دلالات حروف الجر في تفسير التحرير والتنوير
للشيخ محمد الطاهربن عاشور

د. عبـد القـادر مـوفـق

أستاذ محاضر. أ

جامعة ابن خلدون

تيارت - الجزائر

البريد الإلكتروني: aek.mouffak@yahoo.fr

الاستلام	٢٠٢٠/٢/٢٧	المراجعة	٢٠٢٠/٣/٢٣	النشر	٢٠٢٠/٤/٣٠

ملخص:

يعالج هذا البحث دراسة حروف الجر وتطبيقاتها في تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور دراسة نحوية دلالية تعين الدارس على فهم تفسير القرآن الكريم، وإبراز أهمية هذه الحروف ودورها في المعنى من خلال السياق الذي وردت فيه، إذ نجد الشيخ الطاهر بن عاشور يعتني ببيان معاني هذه الحروف ودلالاتها في الآية مع إبراز قضية التناوب والزيادة وإن لم تكن بشكل مفصّل، ممّا جعلنا نتتبع هذه المواضع ونتدبرها ونفهمها للوصول إلى الدلالات، ويصعب علينا تناول كلّ حروف الجر لكثرتها،وتكفي الإشارة إلى تناول المشهورة منها.

الكلمات المفتاحية:

الدلالة،الحرف، الجر، المعنى، التأويل،التفسير، السياق.

Signs of prepositions in the interpretation of "altahryr w altanw" by Sheikh Muhammad al-Tahir bin Ashur

Dr. Abdel Qader mouffak

Lecturer, A.

Ibn khaldoun University

Tiaret - Algeria

Email: aek.mouffak@yahoo.fr

Received	27/2/2020	Revised	23/3/2020	Published	30/4/2020

Abstract:

This research deals with the study of prepositions and their applications in the interpretation of the edification and enlightenment of Sheikh Muhammed Al-Taher Bin Ashour as a semantic grammatical study that helps the learner to understand the interpretation of the Holy Qur'an, and to highlight the importance of these letters and their role in the meaning through the context in which they appeared, as we find Sheikh Al-Taher bin Ashour taking care of a statement of meanings These letters and their indications in the verse highlighting the issue of rotation and increase, if not in detail, which made us follow these places and manage them and understand them to reach the indications, and it is difficult for us to deal with all prepositions for their multiplicity, and it is sufficient to indicate the eating of the famous ones.

Key words:

significance, letter, preposition, meaning, interpretation, interpretation, Context.

مقدمة:

اعتنى العلماء الأوائل بدراسة حروف المعاني لأهميتها، وقد كان مجال دراستهم في القرآن الكريم، ومن بين حروف المعاني هذه جاءت دراستنا مقتصرة على حروف الجر متناولين وبخاصة أثرها في التفسير قصد الوقوف على المعاني التي اكتسبتها ضمن السياق، ذلك أنّ حروف الجر لها هندسة ضمن خارطة النص القرآني، علاوة على ذلك فإنّه ليس لها معنى معجمي كما في الأسماء والأفعال وإنّما دلالتها وظيفية تظهر ضمن السياق، وهذه الدلالات المهمة التي عرفت بها لا يمكن ظهورها في وجه محدد إلّا من خلال السياق الذي يسهم في إظهار وتغليب وجه دلالي معين من بين دلالات الحروف.

وعلى الرغم من أنّ دراسة حروف الجر في كل القرآن قد يكون أمرا صعبا، إلّا أنّنا فضلنا دراستها فيه كلّه على اختيار نماذج محدّدة منه، وذلك لأنّنا نريد الوقوف على ما في حروف الجر من لطائف وأسرار، وما تحدثه في نسق التراكيب من إيحاءات، وما توحي به من أغراض في القرآن الكريم، فهذه الصورة يمكننا الوقوف على المواضع المختلفة التي استخدم فيها الحرف، وما أوحى به من معاني ودلالات في هذه المواضع، ومع ذلك لم نستطع دراسة كل حروف الجر في القرآن الكريم، وذلك أنّ المفسرين عامة،والشيخ محمد الطاهر بن عاشور خاصة في تفسيره التحرير والتنوير أولوا أهمية بالغة لهذه المعاني في الربط والتركيب والدلالات، فذكروا لهذه الحروف: الباء، واللام، وإلى، من عن، على، الكاف... معاني كثيرة، وحملوا معانيها بعضها على بعضها الآخر ضمن نظام النيابة والتضمين في تأدية المعاني الأصلية والفرعية، واستعانوا بذلك بالنحاة والبيانيين.

وعليه ارتأينا أن يكون بحثنا حول تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور وتبيان أثر هذه الحروف فيه من خلال بعض الآيات القرآنية، هذا الذي جعلنا نثير الإشكالات الآتية: ما هي الدلالات التي تحملها حروف الجر؟ وكيف نعالج تعدد المعنى للحرف الواحد؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي المناسب لدراسة هذا الموضوع، والقائم على الملاحظة والاستقراء، وذلك أنّنا لم نقف عند مجرد ذكر معاني الحروف ثم الاستشهاد لها من القرآن الكريم، وإنّما تعدينا ذلك إلى التعليل والتحليل من أجل الوقوف على أسرار معاني هذه الحروف في مواضعها من سياقها، والدواعي التي من أجلها تفارق مواضعها.

١- الجر تعريفه:

أ- لغة: لقد ورد في القاموس المحيط للفيروز آبادي قوله: «الجر الجذب كالاجترار والاجدرار والاستجرار والتجرير، وجمع الجرة من الخزف كالجرار، وأن تجر الناقة ولدها بعد تمام السنة شهرا أو شهرين، وهي جرور، وقد اجتر، وأجر، واللقمة يتعلل به البعير إلى وقت علفه، والجرّة بالضم، كفة يصطاد بها الضباع، ويفتح الخبزة، أو خاص بالتي في المدّ، والجارة الإبل تجر بأزمتها والطريق إلى الماء. والجرير حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة والجريرة الذنب والجناية حجر على نفسه وغيره جريرة يجرها بالفم والفتح جرا، وفعلت من جراك ومن جرائك، وجار جار إتباع، وانجر، انجذب، وجاره، ما طله، او حاباه و استجررت له، أمكنته من نفس فانقادت له».[١]

أما في مختار الصحاح فقد جاء قوله: "الجرة من الخزف والجمع جرٌّ أو جوار، و"جرّ الحبل وغيره، من باب ردّ، والجارة الإبل التي تجر بأزمتها فاعلة بمعنى مفعولة... وفي الحديث «لا صدقة في الإبل الجارة»، وهي ركائب القوم لأنّ الصدقة في السوائم دون العوامل، و...انجر الشيء انجذب».[٢]

ومما سبق ذكره يبدو أنّه قد اتّضح لنا معنى الجرّ وهو إذن بمعنى الجذب والاتباع، وسنورد هذا المعنى وعلاقته بالمعنى الاصطلاحي.

ب- اصطلاحا: الجر حالة من حالات الإعراب التي تخص الأسماء وتميزها عن غيرها، وهو يعني جرّ معاني الأفعال إلى الأسماء أي توصيلها إليها، ولهذا أطلق الكوفيون على حروف الجرّ حروف الإضافة، لأنها تضيف معاني الأفعال أي توصلها إلى الأسماء بعدها.[٣]

وذلك أنّ من الأفعال ما لا يقوى على الوصول إلى المفعول به فقووه بهذه الحروف نحو: (عجبت من خالد) و(مررت بسعيد) ولو قلت: "عجبت خالدا ومررت سعيدا" لم يجز لضعف الفعل اللازم وقصوره عن الوصول إلى المفعول به إلّا أن يستعين بحروف الإضافة، والجر من اصطلاح البصريين.

٢- تسميات حروف الجر:

اختلف النحاة القدماء و المتأخرون في تسمية حروف الجر فسماها البصريون حروف الإضافة، وقد يطلقون عليها أحيانا الظرف لأنّ الظرف يشمل شبه الجملة بنوعيه المعروفان وهما: الظرف والجار مع مجروره وقد يطلق على كل واحد منهما "شبه الوصف أو شبه المشتق"، وإنّما كان شبه الجملة بالمشتق لا مكان تعلق كل منهما بمحذوف ومشتق وتقديره كائن أو موجود أو حاصل»[٤]، وسمّاها الكوفيون حروف الصفة، واشتهرت في كتب النحو باسم حروف الجر.

أ- حروف الإضافة:

سمّى الخليل حروف القسم الثلاثة: الواو، الباء، والتاء، وهي من حروف الجر، حروف الإضافة، وعلّل ذلك بقوله: «إنما تجيء بهذه الحروف لأنك تضيف حلفك إلى المحلوف به كما تضيف (مررت به) بالباء».[٥]

وتبعه سيبويه (ت١٨٠هـ) في استخدام مصطلح (الإضافة) لحروف الجر، وقال في حديثه عن اللام: «ولام الإضافة ومعناها الملك، واستحقاق الشيء ألا ترى أنك تقول الغلام لك والعبد لك فيكون في معنى هو عبدك».[٦]

وعلّل تسمية حروف الجر بحروف الإضافة في قوله: «وأمّا الباء و ما أشبهها فليست بظروف ولا أسماء ولكنها يضاف بها إلى الاسم أو ما بعده، فإذا قلت يا لبكر فإنما أردت أن تجعل ما يعمل في المنادى مضافا إلى بكر باللام، وإذا قلت مررت بزيد فإنما أضفت المرور إلى زيد بالباء».[٧]

فحروف الجر في نظر سيبويه (ت١٨٠هـ) أدوات لإضافة المعاني إلى الاسم والعناصر السابقة أو اللاحقة دون تحديدها ولكن الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في شرحه لسبب تسميتها بحروف الإضافة فيقول: "سميت بذلك لأن وضعها على أن تفضي بمعاني الأفعال إلى الأسماء و هي فوضى في ذلك و إن اختلفت بها وجوه الافضاء".[٨]

وبهذا يمكننا أن نقول إنّ المقصود من الإضافة هو إضافة معنى جديد إلى الجملة بتوظيف حرف الجر، وارتباطه بالعناصر الأخرى.

ب- حروف الصفات:

هذا المصطلح اشتهر عند الكوفيين حيث قال ابن يعيش (ت٦٤٣هـ): «وقد يسميها الكوفيون حروف الصفات لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات».[٩]

ونقل عن الرضي الاستراباذي أنّه قال: «يسميها الكوفيون حروف الصفات لأنها تحدث صفة في الاسم، وقولك جلست في الدار، دلت (في) على أن الدار وعاء للجلوس، وقيل لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات...».[١٠]

ج- حروف الجّر:

هذا المسمى هو الشائع في استعمال النحويين لأنّها تجر الاسم الذي بعدها كما تنصب حروف النصب وتجزم حروف الجزم، «وقيل لأنّها تجر معنى الفعل إلى الاسم وتضيفه وتوصله إليه»[١١] لأنّ بعض الأفعال توصل عملها مباشرة إلى مفعولها، وبعضها لا تستطيع ذلك فتلجأ إلى حروف الجر للوصول إلى المعنى نحو جلست على الكرسي[١٢]، والتعليل

الأول أقرب إلى الصواب؛ لأنّ حرف الجر لا يتعلق دئما بالفعل وقد لا يكون متعلقا البتة، فلا يجر معنى الفعل إلى الاسم أو غيره في هذه الحالة، أمّا عند البصريين فسبب إطلاق هذا الاسم كما نقل الزجاجي (ت٣٣٧هـ) «الحروف الجارة تجر ما قبلها فتوصله إلى ما بعدها كقولك: (مررت بزيد) فالباء أوصلت مرورك إلى زيد... هذا مذهب البصريين وتفسيره».[١٣]

نستنتج مما سبق أنّ المصطلحات الثلاثة التي أطلقها النحاة على حروف الجر ناتجة عن نظر بعضهم إلى الوظيفة الدلالية التي يؤديها الحرف، ونظر البعض الآخر إلى الوظيفة النحوية، فحرف الجر يضيف مجيئه معنى جديدا للجملة أو يؤكد المعنى الموجود إضافة إلى جره للاسم الذي يدخل عليه.

٣- دلالات حروف الجر في تفسير التحرير والتنوير:

لقد كان الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من أوائل المفسرين الذين تحدثوا في معاني الحروف لكثير من الآيات التي كان يفسرها في التحرير والتنوير ناقلا عن المفسرين واللغويين الذين كانوا قبله أمثال الفراء(ت٢٠٧ هـ) والزجاج(ت٣١٦ هـ) والزمخشري في كشافه (ت٥٣٨ هـ) وأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥ هـ)، وغيرهم، مضيفا بنفسه الشيء الكثير على ما يتبين في هذا البحث.

وللشيخ محمد الطاهر بن عاشور نظرات عميقة وصائبة في حروف الجر التي وقف عليها وقوف الأديب المتذوق والمفسر المتأول موضحا دلالاتها على حسب السياق الذي ترد فيه، ولا ينبغي أن يفهم أنّني أودّ استقراء جميع حروف الجر في القرآن الكريم فتلك مسألة أمرها بطول، ويخرج هذه الدراسة عن طبيعتها، فالشيخ الطاهر بن عاشور لم يتعرض لكثير منها بالذكر، وذلك أنّ حروف الجر عنده تحتمل تأويلات كثيرة بحسب أصل وضعها من خلال وقوفه عند بيان النص القرآني، لذلك سيقف البحث في هذه الدراسة على بعض حروف الجر التي وردت في تفسير التحرير والتنوير لبيان دلالتها النحوية وأثرها فيه، ومن هذه الحروف:

١-إلى: حرفُ جرٍّ كثيرُ الاستعمال في اللغة العربية، اتّفق الجميع على أنّ أشهر معانيه وأكثرها استعمالا لدلالته على انتهاء الغاية وهو حرف جر يفيد الانتهاء مطلقا في المكان والزمان وغيرهما[١٤]، وذكروا لها معاني أخرى كموافقة (**مع**)، أو (**في**) أو (**اللام**)، أو غير ذلك، والانتهاء هو أصل معانيها[١٥]، وإنّما ذكروا المعاني الأخرى على مذهب من يرى التناوب في الحروف.

وورد من باب التطبيق على هذا الحرف ما جاء في تفسير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور قوله تعالى: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[١٦]، حرف الجر في هذه الآية (**إلى**) في قوله: ﴿**إِلَى جَهَنَّمَ**﴾وهي غاية حشرهم ومنتهاه فـ (**إلى**) على معناها المتبادر، وقيل بمعنى: (**في**) المعنى أنهم يجمعون فيها، والآية كالتوكيد لما قبلها فإنّ الغلبة تحصل بعدم الانتفاع بالأموال والأولاد، والحشر إلى جهنم مبدأ كونهم وقودا لها.[١٧]

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ** ﴾[١٨] أي لك وقالوا: (**أحمد الله إليك**) كما يقال: (**أحمد الله لك**) والمجرور ب (**إلى**) في محل المفعول الأول لأن حرف الجر الزائد لا يطلب متعلقا.[١٩]

(إلى) بمعنى (مع): جاء الحرف (**إلى**) في تفسير التحرير والتنوير بمعنى (**مع**) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**... مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ...**﴾[٢٠]، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «ووصل وصف (**أنصاري**) بـ (**إلى**) إمّا على تضمين صفة أنصار معنى الضم أي من ضامون نصرهم إياي إلى نصر الله إيّاي الذي وعدني به، إذ لابد لحصول النصر من تحصيل سببه كما هي سنة الله».[٢١]

يفهم من خلال السياق أنّ النبي إذا كان له أنصار فقد انضموا في نصرته إلى الله، فكأنّه قال: من أنصاري منضمين إلى الله كما تقول: زيد إلى خير وإلى دعة وستر، أي آوٍ إلى هذه الأشياء ومنضم إليها.

أمّا المعاني الأخرى التي نسبت إلى هذا الحرف فقد أوصلها بعضهم إلى سبعة غير المعنى الرئيس، من أشهرها أنها تكون بمعنى (**مع**) وهو معنى المَعيَّة أو المصاحبة، وذلك إذا ضممت شيئا إلى آخر، ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تأكلوا أَمْوَالَهُمْ إِلى أَمْوَالِكُمْ**﴾[٢٢]، وحمل على معنى المصاحبة أيضا إذ يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "وَلاَ تأكلوا أَمْوَالَهُمْ إلى أَمْوَالِكُمْ أي ضامّينها فهو ظرف لغو".[٢٣]

ويضيف قائلا عن الآية الأولى:"ووصل وصف أنصاري بـ (**إلى**) إمّا على تضمين صفة أنصار معنى الضم أي من ضامون نصرهم إيّاي الى نصر الله ايّاي،الذي وعدني به، إذ لابد لحصول النصر من تحصيل سببه كما هي سنة الله".[٢٤]

وكان بعض النحاة البصريين يوجهون ذلك بأنّ (**إلى**) على بابها، والمعنى فيه توسعٌ، وقد عقد ابن جني بابا لاستعمال الحروف بعضها مكان بعض قال فيه: "هذا باب يتلقاه الناس مغسولا ساذجا من الصنعة، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه، وذلك أنّهم يقولون: إنّ (**إلى**) تكون بمعنى (**مع**) ويحتجون لذلك بقول الله سبحانه: (**من أنصاري إلى الله**) أي: مع الله...، ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا لكننا نقول: إنّه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا، ألا ترى أنّك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلا هكذا لا مقيدا لزمك عليه أن تقول سرت إلى زيد وأنت تريد معه...، اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع، فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه، وذلك كقول الله عزَّ اسمه: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصيام الرفث إِلى نِسَآئِكُمْ**﴾[٢٥] وأنت لا تقول رفثت إلى المرأة وإنّما تقول: رفثت بها أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء وكنت تعدى أفضيت بـ(**إلى**) كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بـ (**إلى**) مع الرفث إيذانا وإشعارا أنّه بمعناه...، وكذلك قول الله تعالى:(**من أنصاري إلى الله**) أي مع الله، وأنت لا تقول سرت إلى زيد أي معه لكنه إنما جاء (**من أنصاري إلى الله**) لما كان معناه: من ينضاف في نصرتي إلى الله فجاز لذلك أن تأتي هنا (**إلى**)».[٢٦]

وكان هذا رأي النحاة البصريين الآخرين أيضا[٢٧]، وفي كلام ابن جني أبعَادٌ مُتعددة، فقد انتقد فيه القائلين بنظرية تناوب الحروف، ورجع المعنى في الجملة إلى تضمين الفعل معنى فعلٍ آخرَ، فيُعدَّى الفعلُ الأوَّلُ بالحرف الذي يُعدَّي به الفعلُ الثاني ليكون أمارةً تُبَيِّن إشراب الفعل معنى الفعل الآخر، لكنّه رجّع إمكانية ادعاء أنّ الفعل ضُمِّن معنى فعل آخر إلى الأحوال الداعية إليه والمسوغة له، وذلك لا يكون في كل موضع كما قال، وفي هذا إشارة إلى أثر السياق في تحميل هذا المعنى، لكن ابن جني والبصريين يقولون بأنّ الفعل ضُمِّن معنى آخر.

يتضح ممّا سبق أنّ الفعل يبقى على حاله ومعناه، لكنه يُعَدَّى بحرف معين لغرض معين يفهم من خلال السياق.

وفي ضوء ما يطرحه ابن جني والبصريون يفسر الزمخشري بقوله: «ولا تضموها إليها في الإنفاق، حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلَّةَ مبالاةٍ بما لا يحل لكم. وتسويةً بينه وبين الحلال».[٢٨]

٢-الباء: المعنى الأصلي الذي تدل عليه (**الباء**) وتنفرد به، هو: الإلصاق، وهو معنى لا يفارقها في جميع معانيها، ولهذا اقتصر عليه سيبويه إذ يقول: "و(**باء**) الجر إنّما هي للإلزاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزيد، ودخلت به، وضربته بالسوط، ألزقت ضربك إياه بالسوط، فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله"[٢٩]، ويقول ابن يعيش: "فأمّا الإلصاق فنحو قولك: أمسكت زيدا، يحتمل أن تكون باشرته بنفسك، ويحتمل أن تكون منعته من التصرف من غير مباشرة، فإذا قلت: أمسكت بزيد، فقد أعلمت أنّك باشرته بنفسك".[٣٠]

وقال ابن السراج: «(**الباء**) معناه: الإلصاق، فجائز أن يكون معه استعانة، وجائز لا يكون»[٣١].

وقال ابن هشام: "(**الباء**) المفردة حرف لأربعة عشر معنى، أولها الإلصاق، وقيل: وهو معنى لا يفارقها، فلهذا اقتصر عليه سيبويه».[٣٢]

وأشار المالقي إلى أنّ الإلصاق في (**الباء**) هو الأكثر استعمالا من غيره في كلام العرب، وأنّ بعض النحاة قد ردّ أكثر معاني (**الباء**) إليه، غير أنّ الصحيح في نظر المالقي هو التنويع، وليس حصر معظم معاني (**الباء**) في الإلصاق. [٣٣]

ومن الدلالات التي يخرج إليها حرف (**الباء**)هو السببية وأشار أكثر العلماء إلى خروج (**الباء**) إلى هذا الاستعمال[٣٤]، وقد أشار الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إلى قوله تعالى: ﴿...**لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٣٥]، من المعلوم أنّ (**الباء**) لها معان كثيرة والذي يهمنا معناه السببية في قوله: (**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) فيقول: «و(**الباء**) في قوله: (**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) سببية أي بسبب أعمالكم، وهي الإيمان والعمل الصالح، وهذا الكلام ثناء عليهم بأنّ الله شكر أعمالهم فأعطاهم النعيم الخالد لأجل أعمالهم».[٣٦]

وتستعمل (**الباء**)للقسم «وهو أصل أحرفه وخصت بجواز ذكر الفعل معه»[٣٧]، وقد أشار الشيخ الطاهر بن عاشور إلى هذا الاستعمال في قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[٣٨] فقوله: (**فَبِعِزَّتِكَ**) حيث أقسم الشيطان بعزة الله تحقيقا لقيامه بالإغواء دون تخلف، وإنّما أقسم على ذلك وهو يعلم عظمة هذا القسم لأنّه وجد في نفسه أن الله أقدره على القيام بالإغواء والوسوسة.[٣٩]

وتستعمل (**الباء**) للتوكيد وهي: «الزائدة وزيادتها في الفاعل واجبة وغالبة وضرورة»[٤٠]، وقد أشار الشيخ الطاهر بن عاشور إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿... **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[٤١] إذ يقول: «و(**الباء**) الداخلة على اسم الجلالة الذي هو فاعل (**كفى**) في المعنى للتوكيد»[٤٢]لأنّ أصل التركيب: (**كَفَى بِاللَّهِ**)[٤٣]، وقال الزجاج:"دخلت لتضمن (**كفى**) معنى (**اكتف**) وهو من الحسن بمكان»[٤٤]، وقد جاء في مُغني اللبيب: «الفاعل ضمير الاكتفاء وصحة قوله موقوفة على جواز تعلق الجار بضمير المصدر وهو قول الفارسي(ت٣٧٧هـ) والرماني(ت٣٨٤هـ) ».[٤٥]

(الباء) بمعنى(مِنْ):قال الله تعالى: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**﴾[٤٦]، و قوله تعالى: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا** ﴾[٤٧]، ويكون بمعنى يشربها عباد الله، ويشرب منها، يقول أبو حيان في قوله تعالى: «﴿**عيناً يشرب بها المقربون**﴾، أي: يشربها أو منها، أوضمَّن يشرب معنى يروي بها».[٤٨] يقول الزمخشري: «فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولاً وبحرف الإلصاق آخراً؟ قلت: لأنّ الكأس مبدأ شربهم وأوّل غايته، وأمّا العين فيها يمزجون شرابهم. فكأنّ المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول: شربت الماء بالعسل»[٤٩]، والمعنى نفسه عند الشيخ الطاهر بن عاشور:"و(**باء**) (**يشرب بها**) إمّا سببية، وعدّي فعل (**يشرب**) إلى ضمير العين بتضمين(**يشرب**)معنى: يمزج، لقوله: ﴿**ومزَاجُهُ منْ تَسْنيم**﴾ أي يمزجون الرحيق بالتسنيم وإمّا (**باء**) الملابسة وفعل (**يشرب**) معدّى إلى مفعول محذوف وهو الرحيق أي يشربون الرحيق ملابسين للعين، أي محيطين بها وجالسين حولها،أو (**الباء**) بمعنى (**من**) التبعيضية».[٥٠]

(الباء) بمعنى (فِي): قد أثبتت النيابة بين الحرفين (**الباء**) و(**في**) عند النحاة في مصنفاتهم[٥١] ووضعوا بها قرائن لفظية تعرف بها، وهي دخولها على أسماء ظروف الزمان والمكان وأسماء المعرفة.

وجاء (**الباء**) بمعنى (**في**) حاملة دلالتها على القرينة الزمنية في تفسير التحرير والتنوير قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ، وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[٥٢] أي في الليل، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «والمصبح داخل في وقت الصباح يمرون على منازلهم في الصباح تارة وفي الليل تارة بحسب السير في أول النهار وآخره، لأن رحلة قريش إلى الشام تكون في زمن الصيف، ويكون السير بكرة وعشيا وسرى، و (**الباء**) في (**وبالليل**) للظرفية».[٥٣]

وقوله تعالى: ﴿**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[٥٤] أي (**في الأسحار**)[٥٥]، ومن الملاحظ أنّ (**الباء**) اتصلت بظروف الزمان: الليل والسحر وهي قرينة يمكن أن يعوّل عليه في نيابة (**الباء**) مكان (**في**) الأغلب.

أمّا دلالة هذه النيابة في الظرفية الزمنية، فلم يعللها النحاة والمفسرون، وفي نظرنا أنّ (**الباء**) أقوى دلالة من (**في**) لأنّها استخدمت مجازيا في الآيتين السابقتين.

ومن المواضع التي قيل فيها بزيادة (**الباء**) في التفسير قوله تعالى: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾[٥٦]، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «إنّ (**الباء**) في قوله (**بِجِذْعِ النَّخْلَةِ**) زائدة للتوكيد»[٥٧]، وحكى الرازي[٥٨] عن قطرب (ت ٢٠٦هـ) أنّ: "(**الباء**) في (**بِجِذْعِ النَّخْلَةِ**) زائدة، والمعنى هزّي أي حركي جذع النخلة، وهو قول ضعيف، إذ (**الباء**) هنا أصيلة ويعضده ما قاله الفراء[٥٩] في أنّ العرب تقول: هزّ به وهزّه، وخذ الخطام، وخذ بالخطام وتعلّق زيد وتعلّق بزيد، وخذ برأسه وخذ رأسه، فيفهم من هذا أنّ الفراء لم يقطع بزيادتها بل احتمل لها في الآية وجهين: الزيادة وغيرها، ولم يرجح أحدهما على الآخر، ثم أورد نظيرا لذلك هو قوله تعالى: ﴿... **فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ**... ﴾[٦٠]، وذكر أنّ معناه: (**فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ**)[٦١]، ثم بيّن أنّه لو "لو كانت: هزّي جذع النخلة كان صوابا"،[٦٢] وحملها أبو عبيدة على الزيادة [٦٣]،و وافقه على ذلك الأخفش[٦٤] إلّا أنّه أجاز مع ذلكم تقدير محذوف وبقاء (**الباء**) على أصلها، والمحذوف (**رطبا**)، فقال: «يجوز أن يكون على معنى: وهزّي رطبا بجذع نخلة، والتكلف في هذا الكلام واضح، إذ لا يصدق الهز إلا على جذع النخلة، لا على الرطب، لأنّه لا يقال في عرف الاستعمال، هزّ الرطب بما لا يقال: هزّ الفاكهة، بل يقال: هزّ النخلة وهزّ الشجرة».[٦٥]

٣-**على:** وذكروا من أشهر معانيها الاستعلاء حسا أو معنى ولم يثبت لها أكثر البصريين غير هذا المعنى، ومن المعاني الأخرى: المصاحبة والمجاوزة والتعليل والظرفية وغير ذلك[٦٦]، والتحقيق أنّ معظم هذه المعاني ترجع إلى الاستعلاء كما هو مذهب أكثر البصريين.

ومن استعمالات هذا الحرف في تفسير التحرير والتنوير قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى، وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى**﴾[٦٧] فالمعنى أنّ الله أراد النشأة الأخرى كقوله تعالى: ﴿...**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**...﴾ فعبّر بحرف الاستعلاء تأكيدا له ردا لإنكارهم إيّاه.[٦٨]

وحمل المفسرون على معنى الاستعلاء في (**على**) دلالة بعض الأحرف الأخرى، هي: الباء واللام والواو وعن وفي ومن وإلى، وذلك لتقارب معانيها عموما من معنى (**على**) وإقرارهم بمذهب النيابة واستعارة المواقع فيما بينها، ولكنهم لم يفصلوا في هذا المذهب بين استعلاء حقيقي ومجازي.[٦٩]

(**على**) **بمعنى(من):** قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ**﴾[٧٠]، أي: من الناس، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «(فمعنى (**اكتالوا على الناس**) اشتروا من الناس ما يباع بالكيل».[٧١]

ولا يختلف هذا الحرف عند الكوفيين عن الحروف الأخرى، فقد نسبوا إليه معاني أخرى اختلف العلماء فيما بينهم في عددها وتسمياتها، واختلفوا أيضاً في نسبة أكثر من معنى إلى الحرف في نصٍّ واحد، وكانت هذه الخلافات تفهم من خلال تتبع القرائن المواكبة للسياق العام للنص.

(**على**) **بمعنى(مع):** ومن المعاني التي نسبت إلى هذا الحرف معنى المصاحبة وهو معنى (**مع**) [٧٢]، كقوله تعالى: (**وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ**)[٧٣]، المعنى: (**على حبه**) مع حب المال والشُحّ به، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «و(**على**) في قوله (**على حبه**) مجاز في التمكن من حب المال مثل (**أولئك على هدى**)،وهي في مثل هذا المقام للتنبيه على أبعد الأحوال من مظنة الوصف فلذلك تفيد مفاد كلمة (**مع**) وتدل على معنى الاحتراس كما هي في قوله تعالى:(**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا**)، وقول زهير:

مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى علّاته هَرَما **** يَلْقَ السَّمَاحَةَ فيه والنَّدَى خلقا [٧٤] .

وقيلَ: «على حُبِّ الله. وقيل: على حُبِّ الإيتاء، يُريد أن يُعطيَهُ وهو طَيِّبُ النفسِ بإعطائه»[٧٥]، يلاحظ أنّ هنالك خلافا في عودة الهاء في(**حبّه**) فقد قيل: فهو إمّا عائدٌ إلى المال، وإمّا عائد إلى الإتيان، أي ألا تدفعه وأنت مُتَسَخِّطٌ عليه كاره له، ويحتمل أيضاً وجها ثالثا: وهو أن يكون الضمير عائدا إلى الله، ويكون التقدير على حب الله، فيكون خالصا

لوجهه»[٧٦]، وكان أبو حيَّان يرى أنّ الضمير عائد إلى المال؛ «لأنه أقربُ مذكورٍ، ومن قواعد النحويين أنّ الضمير لا يعود على غير الأقرب إلاَّ بدليلٍ».[٧٧]

وورد هذا المعنى لـ (**على**)الذي يدل على المصاحبة نحو قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ على ظُلْمِهِمْ**﴾[٧٨] أيْ: مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "و(**على**) في قوله:(**على ظلمهم**) بمعنى (**مع**)".[٧٩]

يتضح مما سبق أنَّ المعنى واضح وإن كان معنى المصاحبة يُمكن أن يُفهَم من السياق، فالله تعالى شأنه ذو مغفرةٍ متعالٍ فوقَ تصرفات الناس وظلمِهم، وهذه المغفرةُ مع وجود الظلم فهي تصحبه، وسعة رحمة الله ورأفته بالعباد لم تشترط أن يتخلى الناس عن الظلم ويتركوه لتنالهم الرحمة الإلهية، بل هي تعمُّ المؤمن والظالم.

ومن استعمالات (**على**) التي تدل على معنى المصاحبة أيضا قوله تعالى: ﴿**الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء**﴾[٨٠] يقول الزمخشري: "(**على**) في قوله (**على الكبر**) بمعنى (**مع**)»[٨١] كقوله:

إنّي عَلَى مَا تَرَيْنَ من كبَرِي **** أَعْلَم من حيثُ تُؤْكَلُ الكَتفُ[٨٢]

ولكنّ الشيخ الطاهر بن عاشور عارض ما ذهب إليه الزمخشري، ويرى أنّها على أصلها من الاستعلاء، ولكنه على سبيل المجاز، إذ يقول: "و(**على**)في قوله (**على الكبر**)للاستعلاء المجازي بمعنى (**مع**)،أي وهب ذلك تعليا على الحالة التي شأنها أن لا تسمح بذلك، ولذلك يفسرون (**على**) هذه بمعنى (**مع**)، أي مع الكبر الذي لا تحصل معه الولادة".[٨٣]

يفهم ممّا سبق أنّ الكبر من شأنه أن يمنع بمقتضى العادة من الإنجاب، وهو في الظاهر سبب قاهر متغلب، إلّا أنّ الله تعالى قادر على كل شيء شاء أن يخرق ما جرت به العادة، ويقهر ما خلق من أسباب، إدلالا على عظيم قدرته، وإطلاق يده فيما خلق، وتكريما لمن خرقت من أجله النواميس، وحطمت بسببه ظواهر العادات، مما جعل إبراهيم يلهج لسانه ثناء على الله وشكرا، فالاستعلاء المجازي هو استعلاء قدرة الخالق على الكبر الذي هو مانع قاهر في مجرى العادة من حصول الولد، فلو قيل: (**مع الكبر**) لما أوحى بمعنى الاستعلاء على الأسباب وقهرها، كما يوحي به حرف الاستعلاء.[٨٤]

٤-**عن**:وذكروا من أشهر معانيها المجاوزة وتعدية الشيء، ولم يذكر البصريون سواه ومن المعاني الأخرى، البدل، الاستعلاء، التعليل، مرادفة (**بعد**)، الظرفية، مرادفة (**من**)، مرادفة (**الباء**)، الاستعانة، أن تكون زائدة للتعويض.[٨٥]

ومن استعمالات هذا الحرف في تفسير التحرير والتنوير قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾[٨٦]، الحرف (**عن**) في الآية قوله تعالى: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾حيث إنّ حقيقة الإعراض الذي أمر به النبي - صلى الله عليه وسلم-: حقيقة الإعراض عدم الالتفات إلى الشيء بقصد التباعد والتجاوز عنه، مشتق من العرض بضم العين وهو الجانب[٨٧].

والمعنى أنّ النبي- صلى الله عليه وسلم - قد أمر بالإعراض عن هؤلاء المنافقين متجاوزا عما يحصل منهم تجاوزا لا يمنعه صلى الله عليه وسلم من وعظهم وتوجيه الدعوة البليغة لهم.

وممّا ورد أيضا في تفسيره قوله تعالى: ﴿**...أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾[٨٨]، الحرف (**عن**) في الآية: (**عَنْ يَدٍ**) حيث جاءت تأكيدا بمعنى (**يُعْطُوا**) للتنصيص على الإعطاء، و(**عن**) فيه للمجاورة والمعنى: أي يدفعوها بأيديهم ولا يقبل منهم إرسالها ولا الحوالة فيها، ومحل المجرور الحال من الجزية، والمراد بد المعطي أي يعطوها غير ممتنعين ولا منازعين في إعطائها.[٨٩]

ومن المواضع التي قيل فيها أيضا: إنّ (**عن**) أدت معنى المجاوزة والتعليل في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[٩٠]، حيث ذهب بعضهم إلى أن المعنى: وما نحن بتاركي

آلهتنا لقولك[٩١]، يقول الشيخ ابن عاشور: "و(**عن**) في (**عن قولك**) للمجاوزة، أي لا نتركها تركا صادرا عن قولك، كقوله:(**وما فعلته عن أمري**)».[٩٢]

ويضيف قائلا مستدركا: «والمعنى على أن يكون كلامة علة لتركهم آلهتهم».[٩٣]

يتضح لنا من خلال هذا السياق أنّ قوم هود أرادوا تيئيس هود عليه السلام من الإيمان بما جاءهم به، والتحقير من شأنه بإظهاره في صورة من ليس أهلا لاتباعه، والصدور عن رأيه، وكأنّهم أرادوا أن ينفوا أمرين لا أمرا واحدا.

(عن) بمعنى (بعد): جاء الحرف (**عن**) عند الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره بمعنى (**بعد**) في قوله تعالى: ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ**﴾[٩٤] قوله: (**عَنْ طَبَقٍ**) أي (**بعد طبق**)، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «ويقارن اختلاف معاني اللفظين اختلاف معنى (**عن**) من مجاوزة وهي معنى حقيقي، أو من مرادفة كلمة (**بعد**) وهو معنى مجازي».[٩٥]

ويضيف قائلا: "فقيل المعنى: لتركبُنَّ حالا بعد حال، رواه البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، والأظهر أنه تهديد بأهوال القيامة فتنوين (**طبق**) في الموضعين للتعظيم والتهويل و(**عن**) بمعنى (**بعد**) والبعدية اعتبارية وهي بعدية ارتقاء، أي لتلاقُنّ هولا أعظم من هول».[٩٦]

٥-**في:**المعنى الأصلي الذي تدل عليه (**في**) وتنفرد به هو: الظرفية، ولذلك لم يثبت لها البصريون غيره، وذكروا من أشهر معانيها السببية، ولم يذكر البصريون سواه، ومن المعاني الأخرى، المصاحبة، التعليل، الاستعلاء، مرادفة (**الباء**)، مرادفة (**إلى**)، مرادفة (**من**)، المقاسة التعويض، التوكيد.

ومن استعمالات هذا الحرف في تفسيره قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[٩٧] الحرف (**في**) في الآية: (**فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) حيث (**في**) سببية أي جاهدوا بسببه حتى لا يصد عنه صاد فتظهر محاسنه ويسهل المرور فيه من غير قاطع.[٩٨]

ويفيد الظرفيّة[٩٩]، ولم يصرّح الشيخ ابن عاشور بهذه الدلالة إلاّ أنّه ألمح إلى ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿**قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى**﴾[١٠٠]، إذ رأى أنّ (**في**) في هذه الآية بمعنى (**على**)[١٠١]، وقد علّل الشيخ الطاهر بن عاشور إيثار الحرف (في) بقوله: "فحرف (**في**) استعارة تبعية تابعة لاستعارة متعلق معنى (**في**) لمتعلق معنى (**على**)".[١٠٢]

ومن استعمالات هذا الحرف أيضا في تفسيره والذي يدل على معنى الاستعلاء قوله تعالى: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى**﴾[١٠٣] يقول الفراء: «يصلح (**على**) موضع (**في**) وإنّما صلحت (**في**) لأنه يرفع في الخشبة في طولها، فصلحت (**في**) وصلحت (**على**) لأنه يرفع فيها فيصير عليها»[١٠٤]، ويوضّح الشيخ الطاهر بن عاشور القول السابق بقوله: "وتعدية فعل (**لأصلبنكم**) بحرف (**في**)مع أنّ الصلب يكون فوق الجذع لا داخله ليدل على أنّه صلب متمكّن يشبه حصول المظروف في الظرف، فحرف (**في**) استعارة تبعية تابعة لاستعارة متعلق معنى (**في**) لمتعلق معنى (**على**)».[١٠٥]

ومن استعمالات هذا الحرف أيضا في تفسيره والذي يدل على معنى المصاحبة قوله تعالى: ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾[١٠٦] فقد ذهب الهروي إلى أنّ "(**في**) في الآيتين بمعنى (**مع**) وأنّ المراد: مع عبادي، ومع عبادك الصالحين في جنتك".[١٠٧]

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «والمعنى:ادخلي في زمرة عبادي، والمراد العباد الصالحون بقرينة مقام الاضافة مع قرينة بقوله: (**جنتي**)، ومعنى هذا كقوله تعالى:(**لندخلنّهم في الصالحين**)».[١٠٨]

(في) بمعنى (من): وتكون (**في**) بمعنى (**من**) في قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا**﴾[١٠٩] معناه: من كلّ أمّة، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «وعدّي فعل (**نبعث**) هنا بحرف (**في**)، وعدّي نظيره في الجملة السابقة بحرف (**من**) ليحصل التفنن بين المكررين تجديدا لنشاط السامعين».[١١٠]

وزيد في هذه الجملة أنّ الشهيد يكون من أنفسهم زيادة في التذكر بأنّ شهادة الرسل على الأمم شهادة لا مطعن لهم فيها لأنهم شهود من قومهم لا يجد المشهود عليهم فيها مساغا للطعن.[١١١]

٦-**الكاف**:وأعني بها الجارة، وذكروا لها معنيين:

الأول: التشبيه، نحو: زيد كالأسد، ولم يثبت أكثرهم غير هذا المعنى.

والثاني: التعليل ذكره الأخفش وغيره[١١٢]،وجعلوا من قوله تعالى: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ**﴾.[١١٣]

وجاء من استعمالات هذا الحرف في تفسير الشيخ الطاهر بن عاشور قوله تعالى: ﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[١١٤]، فقوله: (**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ**) حيث وقعت (**كاف**) التشبيه موقع خبر لمبتدأ محذوف يدل عليه المشبه به والتقدير ودأبهم في ذلك كدأب آل فرعون، أي عادتهم وشأنهم كشأن آل فرعون.[١١٥]

وممّا ورد أيضا قوله تعالى: ﴿... **فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾[١١٦]، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "(**الكاف**) للتشبيه في قوله (**كَمَا عَلَّمَكُمْ**) أي ذكروه ذكرا يشابه ما من عليكم من علم الشريعة والمقصود من المشابهة في التقدير الاعتباري، أي يكون الذكر بنية الشكر على تلك النعمة والجزاء، فإنّ الشيء المجازي به شيء آخر، يعتبر كالمشابه له، ولذلك يطلق عليه اسم المقدار، وقد يسمون هذه الكاف كاف التعليل، والتعليل مستفاد من التشبيه لأنّ العلة على قدر المعلول".[١١٧]

وذكر أبو حيان الأندلسي تعليقا على الآية الشريفة، أنّ (**كَمَا عَلَّمَكُمْ**) أي كما أنعم عليكم فعلمكم، إذ عبّر بالسبب عن المسبّب، وأنّ(**الكاف**) هاهنا للتعليل.[١١٨]

ومن دلالة (**الكاف**) على التأكيد في قول الله تعالى: ﴿**فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يذروكم فِيهِ ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[١١٩]، حيث يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "ومعنى (**ليس كمثله شيء**) ليس مثله شيء، فأقحمت (**كاف**) التشبيه على(**مثل**) وهي بمعناه لأنّ معنى المثل هو التشبيه، فتعيّن أنّ (**الكاف**) مفيدة تأكيد المعنى المثل وهو من التأكيد اللفظي باللفظ المرادف من غير جنسه، وحسنه أن المؤكد اسم فأشبه مدخول (**كاف**) التشبيه المخالف لمعنى (**الكاف**) فلم يكن فيه الثقل الذي في قول خطام المجاشعي: وصاليات كَكُما يُؤْثَفَيْنَ".[١٢٠]

ويضيف قائلا: «وإذ قد كان المثل واقعا في حيز النفي فـ(**الكاف**) تأكيد لنفيه كأنّه نفي المثل عنه تعالى بجملتين تعليما للمسلمين كيف يبطلون مماثلة الأصنام».[١٢١]

إنّ دخول (**الكاف**) في مذهب العرب يقتضي توكيد نفي المثل؛ وأنّه أبلغ من قوله: ليس مثله شيء؛ فلا يصح مع ذلك أن يُدعى فيه المناقضة؛ لأنّ الواحد منّا إذا أراد أن يؤكد المثل في الإثبات والنفي أدخل فيه (**الكاف**)، فيقول: ليس كمثل زيد جواد ولا شجاع؛ فيكون أبلغ من ذكر حذف (**الكاف**).[١٢٢]

ومعلوم أنّ (**الكاف**) للتشبيه[١٢٣]، يقول الرماني: «والمعنى: ليس مثله شيء. ولا يجوز أن تكون غير زائدة؛ لأنه يصير كفراً، وذلك أن يكون إثبات مثل، ونفي التشبيه عن ذلك المثل، ويصير كأنه قال: ليس مثل مثله شيء».[١٢٤]

ويقرّ النحويون زيادتها في الآية السابقة، قال ابن جني: «واعلم أنّ هذه (**الكاف**) التي هي حرف جر، كما كانت غير زائدة، فقد تكون زائدة مؤكدة بمنزلة الباء في خبر (**ليس**) و (**ما**) تقديره، والله أعلم ليس مثله شيء، فلابد من زيادة (**الكاف**) ليصح المعنى».[١٢٥]

٨-اللام: قال المرادي(ت٧٤٩ ه): «حرف كثير المعاني والأقسام، وقد أفرد لها بعضهم تصنيفا، وذكر لها نحو من أربعين معنى، وأقول: إنّ جميع أقسام (**اللام**)التي هي حرف من حروف المعاني ترجع عند التحقيق إلى قسمين: عاملة، وغير عاملة، فالعاملة قسمان: جارة وجازمة، وزاد الكوفيون ثالثا، وهي الناصبة للفعل، وغير العاملة خمسة أقسام وهي: لام الابتداء، واللام الفارقة، ولام الجواب، واللام الموطئة، ولام التعريف عند من جعل حرف التعريف أحاديا، فهذه ثمانية أقسام».[١٢٦]

ومن استعمالات (**اللام**) في تفسير التحرير والتنوير ممّا أشار إليه الشيخ الطاهر بن عاشور نذكر ما يأتي: قال الله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...** ﴾[١٢٧] فقوله: ﴿**خَيْرًا لَّهُمْ**﴾، حيث أشار الشيخ الطاهر بن عاشور عند تفسيره لهذه الآية أنّ (**اللام**) التي في الموضع الأول هنا وهي (**للناس**) بمعنى (العلة): فقال: «يتنزّل هذا منزلة التعليل لأمرهم بالدعوة إلى الخير، وما بعده فإن قوله: ﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ حال من ضمير كنتم، فهو مودن بتحليل كونهم خير أمة فيترتب عليه أنّ ما كان فيه خيرتهم يجدر أن يفرض عليهم، إن لم يكن مفروضا من قبل، وأن يؤكد عليهم فرضه، إن كان قد فرض عليهم من قبل».[١٢٨]

وممّا ورد أيضا في تفسيره قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ**﴾[١٢٩] يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "(**لِيَذَرَ**) (**اللام**) لتأكيد النفي[١٣٠]، ونفي هذا عن أن يكون مراد لله نفيا مؤكدا بـ(**لام**) الجحود".[١٣١]

ويأتي حرف (**اللام**) للدلالة على الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [١٣٢]، فتعدي الفعل بـ (**على**)كما هو الأصل في قوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾.[١٣٣]

إذا تأملنا جيدا الآيتين السابقتين نجد السياق الذي وردت فيه تعدية الفعل بـ (**على**) جاء الأمر فيه بالاصطبار على الصلاة، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "وكان الشأن أن يعدّى الاصطبار بحرف (**على**)كما قال تعالى: ﴿**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها**﴾ ولكنّه عدّي هنا بـ(**اللام**) لتضمينه معنى الثبات، أي اثبت للعبادة، لأنّ العبادة مراتب كثيرة من مجاهدة النفس، وقد يغلب بعضها بعض النفوس فتستطيع الصبر على بعض العبادات دون بعض منا قال النبي – صلى الله عليه وسلم- في صلاة العشاء: "هي أثقل صلاة على المنافقين"، فلذلك لما أمر الله رسوله بالصبر على العبادة كلها وفيها أصناف جمة تحتاج إلى ثبات العزيمة، نزل القائم بالعبادة منزلة المغالب لنفسه، فعدى الفعل بـ(**اللام**)كما يقال: اثبت لعداتك".[١٣٤]

لو عدنا إلى الآية السابقة (**واصطبر لعبادته**) نجد السياق الذي ورد فيه تعدية الفعل (**باللام**) أنّ العبادة لما أضيفت إلى ضمير يعود إلى الله عز وجل عدل النظم الحكيم عن حرف الاستعلاء (**على**) إلى حرف الاختصاص (**اللام**) وذلك لأنّ عبادة الله من العبادات التي يناسبها الثبات والاصطبار لها، أي لأجلها، وليس الاصطبار عليها، ويطالعنا الشيخ ابن عاشور بتلميحاته إلى الفرق بين تعدية فعل الاصطبار بـ(**اللام**) وبـ (**على**) حينما قال: "(فإن قلت: هلا عدّي اصطبر بـ(**على**) التي هي صلته كقوله: (**واصطبر عليها**) قلت: لأنّ العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب: اصطبر لقرنك، أي: أثبت له فيما يورد (عليك من شداته، أريد أنّ العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فأثبت لها، ولا تهن). [١٣٥]

(اللام) بمعنى (إلى):أن تكون لانتهاء الغاية وكثيرة تلك المواطن التي قيل فيها أنّ (**اللام**) تؤدي معنى انتهاء الغاية، وتحل محل الحرف الموضوع لها ذاهبين إلى أنهما يتبادلان مواقعهما، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾[١٣٦]، فقد قيل: (**تجري لمستقر لها**) أي إلى مستقر لها، كما تقول: هو يجري لغايته وإلى غايته.[١٣٧]

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور في هذا الشأن: «ويجوز أن تكون (**اللام**) بمعنى (**إلى**)، أي تجري إلى مكان استقرارها وهو مكان الغروب، شبّه غروبها عن الأبصار بالمستقر والمأوى الذي يأوي إليه في آخر النهار بعد الأعمال».[١٣٨]

(اللام) بمعنى (في): جاء حرف (**اللام**) في تفسير التحرير والتنوير بمعنى (**في**) في تفسير التحرير والتنوير ومن: قوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا...**﴾[١٣٩]، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور عن (**اللام**) في قوله (**ليوم**): «و(**اللام**)في قوله تعالى (**لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**) تحتل أن تكون للعلة مع تقدير مضاف، أي لأجل يوم القيامة أي الجزاء في يوم القيامة، وتحتمل أن تكون للتوقيت بمعنى (**عند**) التي هي للظرفية الملاصقة».[١٤٠]

وذهب الكوفيون إلى أنّ (**اللام**) بمعنى (**في**) ووافقهم ابن قتيبة من المتقدمين وابن مالك من أصحابنا من المتأخرين، وجعل من ذلك قوله: (**الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**) أي (**في يوم**) وكذلك (**لا يحليها لوقتها إلا هو**) أي (**في وقتها**)، وقيل: (**اللام**) هنا للتعليل على حذف مضاف أي لحساب يوم القيامة.[١٤١]

ويتضح ممّا سبق أنّ الشيخ الطاهر بن عاشور لم يعترض على ما أورده الكوفيون وابن قتيبة أنّ (**اللام**) تكون بمعنى (**في**).

ومن المواضع التي قيل فيها بزيادة (**اللام**) بين الفعل ومفعوله في التفسير قوله تعالى: ﴿**قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**﴾، قال الشيخ الطاهر بن عاشور: «و(**ردف**) تبع بـ (**قرب**)، وعدّي بـ (**اللام**) هنا أنّه صالح للتعدية بنفسه لتضمينه معنى (**اقترب**) أو(**اللام**) للتوكيد مثل شكر له».[١٤٢]

ثم أورد خلاف النحويين في (**اللام**) نحو قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ...**﴾، وحكى عن بعضهم بصيغة التضعيف قيل: إنّها زائدة، أو إنّها للتعليل والمفعول محذوف، أي يريد الله التبيين ويبين لكم ويهديكم أي فيجمع لكم بين الأمرين[١٤٣]، وذهب الشيخ الطاهر بن عاشور إلى أنّها مصدرية وهي لتوكيد معنى الفعل الذي قبلها، وقد شاعت زيادة هذه (**اللام**) بعد عادة الإرادة وبعد مادة الأمر معاقبة لأنّ المصدرية تقول: أريد أن تفعل وأريد لتفعل.[١٤٤]

ويفهم ممّا تقدم أن الفعل (**ردف**) لا يتعدى (**اللام**) فقد ضمن عن فعل آخر يتعدى بـ (**اللام**) ونقل عن بعض المفسرين أن (**ردف لكم**) معناه (**ردفكم**) على تقدير زيادة (**اللام**) لتوكيد المعنى.[١٤٥]

٨-من: حرف الجر (**من**) يؤدي عدة معان، وله حضور في تفسير التحرير والتنوير"له وظائفها الدلالية الأصلية وهي الابتداء، الغاية مطلقا مكانا أو زمانا أو غيرهما، كما ترد لتبيّن الجنس وكثيرا ما يقع بعد (**ما**) و(**مهما**)، ويرد كذلك للتعليل وللتبعيض وللفصل وللبدل وللتنصيص وله كذلك وظائفها الدلالية الفرعية...".[١٤٦]

وقد أشار الشيخ الطاهر بن عاشور إلى معان كثيرة لهذا الحرف، فذكر خروجها إلى الابتداء في قوله تعالى: ﴿...**وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾[١٤٧] فيقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «و (**من**) الداخلة على (**بعد**) هي للابتداء عند الجمهور وهو ابتداء صوري يساوي معنى التأكيد».[١٤٨]

ويأتي حرف (**من**): لدلالة على التبعيض، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...**﴾[١٤٩] يقول الشيخ الطاهر بن عاشور"وهو ظاهر جدا إنّ (**من**) في قوله (**مِنَ الرُّسُلِ**) تبعيضية"[١٥٠] فالمعنى إنّ الآية المباركة تدل على الفطرة الإنسانية وإن كانت سبب الاتحاد في برهة من الدهر إلّا أنّها غير كافية في رفع الاختلاف والتنافر بين الناس، والخلاف في تعيينهم كثير منتشر، وأشهر ما فيه على أنّ (**من**) للتبعيض وهو الظاهر، وهذا ما أشار إليه الشيخ الطاهر بن عاشور، والذي يقصد بعض الرسل.

وهذا يعني أنّه اختلف في دلالتها وهي تعامل معاملة اللفظ ودلالتها متأثرة بالسياق الذي ترد فيه، إلّا أنّ التحكم في السياق ليس بالأمر الهيّن، وهذا هو السرّ فيما وقع من خلافات بين العلماء في دلالة هذه الحروف.

ونضيف إلى تلك المعاني أيضا خروج الحرف لتوكيد العموم، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿...**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**...﴾[١٥١]، إذ يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «ولمّا كان الاستفهام بمعنى النفي أكده بـ (**من**) فقال: (**مِنْ خَالِقٍ**) مجرور بـ (**من**) لأنّ محله رفع بالابتداء، وإنّما لم يظهر الرفع للاشتغال بحركة حرف الجر الزائد»[١٥٢]، وفي هذا المعنى تكون (**من**)زائدة، فالمعنى: أمر سبحانه بذكر نعمته وأكد التعرف بأنّها منه وحده على وجه يبين عزته وحكمته، فقال منبها لمن عقل وموبخا من جحد وهو جواب قطعا لا، بل هو الخالق.

وممّا ورد أيضا قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[١٥٣]، فقوله تعالى: (**منكم**) فيه حرف جر(**من**) وقد احتملت معنيين: إمّا التبيين أو التبعيض، وكلاهما تحتاج إلى أدلة للترجيح، فيقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "ويجوز على اعتبار الضمير خطابا لأصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم- أنتكوم (**من**) للتبعيض، والمراد من الأئمة الجماعة والفريق، أي: وليكن بعضكم فريقا يدعون إلى الخير فيكون الوجوب على جماعة من الصحابة.."[١٥٤].

ويضيف قائلا: "وإن كان الخطاب بالضمير لجميع المؤمنين تبعا لكون المخاطب بيا أيها الذين آمنوا إيّاهم أيضا، كانت (**من**) للتبعيض لا محالة،وكان المراد بالأئمة الطائفة، إذ لا يكون المؤمنون كلّهم مأمورين بالدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بل يكون الواجب على الكفاية"[١٥٥].

وتأتي (**من**) لبيان الجنس، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[١٥٦] في الموضعين (**مِنَ الطَّيِّبِ**) و(**مِنْ رُسُلِهِ**) قال الشيخ الطاهر بن عاشور عن الموضع الأول: "و (**من**) في قوله: (**مِنَ الطَّيِّبِ**) معناها الفصل أي فصل أحد الضدين من الآخر، وهو معنى أثبته ابن مالك، وبحث فيه صاحب (مغني اللبيب) ومنه قوله تعالى: ﴿...**وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**... ﴾".[١٥٧]

أمّا الموضع الثاني فقد قال عنه الشيخ الطاهر بن عاشور: «يجوز أنّه استدراك على ما أفاده قوله تعالى: ﴿...**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ**...﴾[١٥٨] حتى لا يجعله المنافقون حجة على المؤمنين، في نفي الوحي والرسالة، فيكون المعنى: وما كان الله ليطلعكم على الغيب إلا ما اطلع عليه رسوله ومن شأن الرسول ألا يفشي ما أسرّه الله إليه».[١٥٩]

من خلال ما سبق يتضح لنا أنّ لحروف الجر وتعدد معانيها سواء أكان ذلك التعدد من اشتراك دلالة الحرف أو كان نتيجة للتقارض بينه وبين حرف آخر، نقول يتضح ذلك ما له من أثر في تعدد معنى الآية أو النص الواردة فيه الحروف من ذلك النمط.[١٦٠]

(من) بمعنى (على): جاء الحرف (**من**) في تفسير التحرير والتنوير بمعنى (**على**) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**...﴾[١٦١] حيث جاء في كلمة (**من القوم**) عدة أوجه:

-أنّ (**نصرناه**)ضمن معناه وعصمناه ونجيناه من القوم.

-أنّ (**نصر**) مطاوعة (**انتصر**)، فتعدى تعدية ما طاوعهُ.

-أنّ (**من**) بمعنى (**على**) أي (**على القوم**) وإلى هذا ذهب أبو عبيدة[١٦٢].

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «وعدّي (**وَنَصَرْنَاهُ**) بحرف (**من**) لتضمينه معنى المنع والحماية كما في قوله تعالى: ﴿... **إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ**﴾[١٦٣] وهو أبلغ من تعديته بـ (**على**) لأنه يدل على نصر قوي تحصل به المنعة والحماية فلا يناله العدو بشيء، وأما نصره عليه فلا يدل إلا على المدافعة والمعونة».[١٦٤]

ويفهم مما سبق أنّ الشيخ الطاهر بن عاشور لم يعترض على الأوجه السابقة ولم يؤيده بترجيح ولا غيره.

وممّا عدّ زائدا الحرف (**من**)، قول سيبويه وجمهور البصريين إلا بثلاثة شروط:

الأول: أن يسبقها نفي أو نهي أو استفهام.

الثاني: أن يكون مجرورها نكرة.

الثالث: أن يكون مجرورها النكرة إمّا فاعلا أو مفعولا به أو مبتدأ.

قال سيبويه: «... وقد تدخل (**من**) في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيما ولكنّها توكيد بمنزلة (ما) إلا أنها تجر لأنّها حرف إضافة، وذلك قولك: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد ولو أخرجت (من) كان الكلام حسنا، ولكنه أكد بـ (**من**) لأن هذا موضع تبعيض، فأراد أنّه لم يأته بعض الرجال والناس».[١٦٥]

ومن شواهد (**من**) الزائدة في تفسير الطاهر بن عاشور قوله تعالى: ﴿... **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ**...﴾[١٦٦] حيث قال الشيخ الطاهر بن عاشور: "و(**من**) في قوله:(**مِنْ أَسَاوِرَ**) مزيد للتأكيد على رأي الأخفش، ويجوز أن تكون للابتداء، وهو متعين عند الذي يمنعون زيادتها في الإثبات"[١٦٧].

يتضح لنا ممّا سبق أنّ الشيخ الطاهر بن عاشور يوافق الأخفش في استدلاله على عدم اشتراط زيادة بالشروط الثلاثة السابقة.

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿... **فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ**...﴾[١٦٨]: «و(**من**) التي في قوله (**مِنَ الثَّمَرَاتِ**) ليست للتبعيض إذ ليس التبعيض مناسبا لمقام الامتنان بل إمّا لبيان الرزق المخرج، وتقديم البيان على المبين شائع في كلام العرب، وإمّا زائدة لتأكيد تعلق الإخراج بالثمرات».[١٦٩]

خاتمة:

وفي الختام يمكن إيجاز أهم النتائج التي أسفر عنها هذا البحث في الآتي:

١-حرف الجر في وظيفته النحوية أكثر دلالة ومعنى في الجملة العربية بمعنى أنّها تنحو نحواً دلالياً ثرياً فتؤدي معناه.

٢-حروف الجر ليس لها معنى معجمي كما في الأسماء والأفعال وإنّما معانيها تظهر في السياق.

٣- دخول حروف الجر بعضها مكان بعض له دور مهم في إبراز المعاني النحوية.

٤- إنّ بعض ما جاء في التفسير محمولا على التضمين أو نيابة الحروف بعضها عن بعض هو من قبيل التوسع في المعنى.

٥- كلّ حرف يشيع في سياقه من الدلالات والإيحاءات الخاصة ما لا يشيعه في سياق آخر.

٦-إنّ في حروف الجر دلالة ناقصة قبل دخولها التركيب، وإنّ هذا هو السبب في حصول النيابة عن بعضها البعض بحسب الأحوال الداعية إليها.

٧-السياق لو دور بارز ومهم في تحديد الدلالة المناسبة لنيابة حروف الجر عن بعضها البعض.

٨- إنّ لتعدية الفعل بحروف الجر في النص القرآني أهمية وأثرا كبيرا في إبراز الدلالات التي تتنوع بتنوع معاني حروف الجر الداخلة عليه.

٩-إنّ وجود الحروف الزائدة بمعنى أنّه لا حاجة لها من حيث الإعراب في القرآن الكريم، و إنّما جيء بها لتوكيد المعنى وتقويته، ولأغراض أخرى كذلك.

١٠- قد يجتمع في الحرف بعض معانيه في سياق واحد فيشيع الخطاب لتأويلات متعددة بعد تلك المعاني وأنّ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من القائلين بتقارض تلك الحروف.

التوصيات:

١- تبقى حروف الجر الباب الواسع الذي يكسب اللغة العربية حقلاً دلاليا واسعا لمن أراد التوسع والبحث فيها.

٢- مواصلة البحث في حروف المعاني عامة وبذل الجهود لكشف أسرارها النحوية والبلاغية والدلالية.

٣- الإقبال على مثل هذه الدراسات النحوية تطبيقا على القرآن الكريم، وإبراز الاختلافات النحوية وبخاصة في كتب التفسير وآراء العلماء حولها.

المصادر والمراجع:

١- بابتي عزيزة نوال، المعجم المفصل في النحو العربي، دار الكتب بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

٢-ابن جني، سر صناعة الاعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط:١، ١٩٨٥م.

٢- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ط:١٩٧٨،٢م.

٣-الخضري، محمد بن عفيفي الباجوري، حاشية الخضري على شرح بن عقيل على ألفية بن مالك، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د. ط، د.ت.

٤-إيهاب سعيد النجمي،تعدد المعنى في النص القرآني(دراسة دلالية في تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي)، بلنسرية للنشر والتوزيع ط١، ٢٠٠٨م.

٥-الرازي، محمد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير و مفاتيح الغيب،، دار الفكر، بيروت، ط:٣، ١٩٨٥م.

٦-الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، معاني الحروف، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار النهضة مصر، ١٩٧٣م.

٧-الزجاج،أبو اسحاق إبراهيم بن السَّريّ،معاني القرآن وإعرابه،، شرح وتحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٩٨٨م.

٨-الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

٩-الزمخشري، محمود بن عمر المفصل في علمِ العربية، دار الجيل، بيروت ط: ٢، د.ت.

١٠-ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل النحويّ البغداديّ، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، بيروت مؤسسة الرسالة، ط١/١٩٨٥م.

١١- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق:عبد السلام هارون، عالم الكتب، د. ت.

١٢-السيوطي،الأشباه و النظائر في النحو،، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت،ط:١، ١٩٨٥م.

١٣-السيوطي، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، عنى بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني، القاهرة ط١/١٩٢٧م.

١٤-الصبان، محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك في النحو والصرف، مطبعة السعادة بجوار مقاطعة مصر، د. ط، د.ت.

١٥-ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع ١٩٩٧م.

١٦-أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي، مجاز القرآن،، تحقيق: فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، القاهرة ط:٢: ١٩٨١م.

١٧-العكبري، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله، اللباب في علل البناء والإعراب،، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: ١٩٩٥م.

١٨-الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار، وآخرون،عالم الكتب، بيروت،ط:٠٣، ١٩٨٣م.

١٩-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت، دار الجيل، د، ت.

٢٠-القاضي عبد الجبار، أبو الحسن، المغني في أبواب التوحيد والعدل،دراسة وتحقيق: خضر محمد نبها،دار الكتب العلمية بيروت،لبنان،د، ط،١٩٧١م.

٢١-ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القران، شرح وتحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابلي، الحلبي وشركاه، مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

٢٢-القرطبي، أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: إسحاق إبراهيم أفطس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د.ت.

٢٣-المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني،، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط:٠٢، ١٩٨٥م.

٢٤-المبرد،أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب،، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة عالم الكتب، بيروت د. ت.

٢٥- محمد الأمين الخضري،من أسرار حرف الجر في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط:٠١، ١٩٨٩ م

٢٦- محمود أحمد الصغير،الأدوات النحوية في كتب التفسير،دار الفكر، دمشق، ط١،٢٠٠١ م.

٢٧-المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: د-فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط:٠٢، ١٩٨٣م.

٢٨-مصطفى جمال الدين، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الرشيد، ١٩٨٠ م.

٢٩-ممدوح عبد الرحمن الرمالي،العربية والوظائف النحوية دراسة في اتساع النظام والأساليب،دار المعرفة الجامعية١٩٩٦م.

٣٠-ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر،١٣٨٨هـ، ١٩٦٧م.

٣١- هادي عطية مطر الهلالي،نشأة دراسة الحروف المعاني وتطورها، الموسوعة الصغيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥م.

٣٢- ابن هشام الأنصاري،جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه وفصله وضبط غرائبه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

٣٣-ابن يعيش، موفق الدين،

الهوامش:

[١]- القاموس المحيط، مادة " جَرَرَ"، ٤٠٢/١.

[٢]- مختار الصحاح، ص:٩٩.

[٣]- ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك في النحو والصرف، ٢٠٣/٢.

[٤]- الكتاب، ٤٨٠/٢.

[٥]- المصدر نفسه١٦٥/٢.

[٦]- المصدر نفسه، ٣٦٥/٢.

[٧]- المصدر نفسه٢٤٤/٢.

[٨]- المفصل في علمِ العربية، ص ٢٨٣.

[٩]- شرح المفصل، ٤٥٤/٢.

[١٠]- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ١٥٣/٤.

[١١]- ينظر: حاشية الخضري على شرح بن عقيل على ألفية بن مالك، ١ /٢٣٥.

[١٢]- ينظر: المعجم المفصل في النحو العربي، ٢٣٥/١.

[١٣]- الإيضاح في علل النحو/٠٣.

[١٤]- ينظر: الكتاب: ٢٣١/٤.

[١٥]- ينظر: الجني الداني، ص: ٣٨٥،٣٨٦.

[١٦]- آل عمران: ١٢.

[١٧]- ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مج٢، ٣ /١٧٥.

[١٨]- النمل: ٣٣.

[١٩]-ينظر: التحرير والتنوير، مج٢، ٣/ ٢٠٨.

[٢٠]- ال عمران:٥٢

[٢١]- التحرير والتنوير مج ٢، ٣ /٢٥٥.

[٢٢]- النساء:٢

[٢٣]- التحرير والتنوير مج٢،٣ /٢٥٥.

[٢٤]- المصدر نفسه مج٢،٣. /٢٥٥.

[٢٥]- البقرة:١٨٧.

[٢٦]- الخصائص: ٣٠٦\٢- ٣١١، وينظر: الأشباه والنظائر:٢٣٢\١.

[٢٧]- ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب: ٣٥٦\١.

[٢٨]- الكشاف: ٤٩٤\١.

[٢٩]- الكتاب، ٠٤ /٢١٧.

[٣٠]- شرح المفصل، ٠٢ /١٧٥.

[٣١] الأصول في النحو، ١ /٤١٢،٤١٣.

[٣٢] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ٣ /١٣٧.

[٣٣] ينظر: رصف المباني، ص: ١٤٤

[٣٤]- ينظر: المقتضب: ١٤٩/٤، والجني الداني، ص: ١٠٢.

[٣٥]- الأعراف: ٤٣.

[٣٦]- التحرير والتنوير، مج٤، ٨/ ١٣٤.

[٣٧]- مغني اللبيب: ٢٠٧/١.

[٣٨]- ص: ٨٣.

[٣٩]- ينظر: التحرير والتنوير، مج٩، ٢٣/ ٣٠٦.

[٤٠]- مغني اللبيب: ٢٠٧/١.

[٤١]- الرعد: ٤٣.

[٤٢]- التحرير والتنوير، مج٦، ١٣ /١٧٦.

[٤٣]- المصدر نفسه، مج١٣،٠٦/١٧٦.

[٤٤]- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٢٣/٣.

[٤٥]- مغني اللبيب، ٢٠٧/١.

[٤٦]- المطففين:٢٨.

[٤٧]- الإنسان: ٦.

[٤٨]- البحر المحيط: ٤٣٤/٨.

[٤٩]- الكشاف: ١٩٦/٤.

[٥٠]- التحرير والتنوير مج ١٢، ٢٠٨/٣٠.

[٥١]- ينظر: معاني الحروف، ص: ٣٦، والجني الداني، ص: ٤٠.

[٥٢]- الصافات:١٣٧.

[٥٣]- التحرير والتنوير، مج٠٩، ١٧٢/٢٣.

[٥٤]- الذاريات:١٨

[٥٥]- ينظر: التحرير والتنوير، مج١٠، ٣٥٠/٢٦.

[٥٦]- مريم: ٢٥.

[٥٧]- التحرير والتنوير، مج٠١، ٢١٣/٢.

٥٨ - التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، ٢٠٥/٢١.

[٥٩]- معاني القرآن للفراء، ١٦٥/٢.

[٦٠]- الحج: ١٥.

[٦١] - معاني القرآن للفراء، ١٦٥/٢، وينظر: تأويل مشكل القران، ص ٢٤٨.

[٦٢]- معاني القرآن للفراء، ١٦٥/٢، وينظر: تأويل مشكل القرآن، ص ٢٤٩.

[٦٣]- مجاز القرآن، ٥٦/٢.

[٦٤]- معاني القرآن للأخفش، ٤٠٢/٢، وينظر: البيان في غريب القرآن، ١٢٢/٢.

[٦٥]- ينظر: تأويل مشكل القرآن، ص ٢٤٩.

[٦٦]- ينظر: الجني الداني، ص ٤٧٦-٤٧٧.

[٦٧]- النجم:٤٥-٤٦-٤٧.

[٦٨]- ينظر: التحرير والتنوير، مج ١١،٢٧ /١٤٨.

[٦٩]- ينظر: الأدوات النحوية في كتب التفسير، ص٥٠٦.

[٧٠]- المطففين:٢.

[٧١]- التحرير والتنويرمج١٢، ١٩١/٣٠.

[٧٢]-ينظر: الجنى الداني ص٤٤٤.

[٧٣]- البقرة:١٧٧.

[٧٤]- التحرير والتنوير مج١،٢ /١٣٠.

[٧٥]- الكشاف: ٣٣٠/١.

[٧٦]- التبيان في علوم القرآن، ٩٦/٢.

[٧٧]- البحر المحيط: ١٢٠\١٢-١٥٠.

[٧٨]- الرعد:٦.

[٧٩]- التحرير والتنوير مج٦،١٣ /١٩٢.

[٨٠]- إبراهيم: ٣٩.

[٨١]- الكشاف،٢ /٣٨١.

[٨٢]- المصدر نفسه، ٢ /٣٨١.

[٨٣]- المصدر نفسه، ٢ /٣٨١.

[٨٤]- ينظر: من أسرار حرف الجر في القرآن الكريم، ص ٧٢.

[٨٥]- ينظر: مغني اللبيب، ٢٩٤/١، الجني الداني، ص ٢٦٠.

[٨٦]- الأنعام: ٦٨.

[٨٧]- ينظر: التحرير والتنوير، مج٣، ٧/ ٢٨٩.

[٨٨]- التوبة: ٢٩.

[٨٩]- ينظر: التحرير والتنوير، مج٥، ١٠/ ١٦٦.

[٩٠] هود:٥٣.

[٩١]- ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ١ /٥١٥.

[٩٢]- التحرير والتنوير مج٥ج١٢ص٩٨.

[٩٣]- المصدر نفسه،مج٥ج١٢ص٩٨.

[٩٤]- الانشقاق: ١٩.

[٩٥]- ينظر: التحرير والتنوير، مج١٢، ٢٢٨/٣٠.

[٩٦]- المصدر نفسه، مج١٢، ٢٢٩/٣٠.

[٩٧]- الأنفال: ٧٢.

[٩٨]- ينظر: التحرير والتنوير، مج٥، ١٠/ ٨٣-٨٤.

[٩٩]- ينظر: الكشّاف ٢ / ٥٤٦.

[١٠٠]- طه:٧١.

[١٠١]- ينظر: التحرير والتنوير، ١٦ /٢٦٥.

[١٠٢] المصدر نفسه، مج ٧،٠٣ /٢٦٥.

[١٠٣] طه:٧١.

[١٠٤] معاني القرآن، ٢ /١٨٦.

[١٠٥] التحرير والتنوير مج٧،١٦ /٢٦٥.

[١٠٦] الفجر: ٢٧، ٣٠.

[١٠٧] الأزهية في علم الحروف، ص ٢٦٧

[١٠٨] التحرير والتنوير مج ١٢،٣٠ /٣٤٣.

[١٠٩] النمل: ٨٩.

[١١٠] التحرير والتنوير، مج٠٦، ٢٥٠/١٤.

[١١١] ينظر: المصدر نفسه، مج٠٦، ٢٥٠/١٤.

[١١٢]- ينظر: الجني الداني، ص ٨٣-٨٤.

[١١٣]- البقرة: ١٥١.

[١١٤]- آل عمران: ١١.

[١١٥]- ينظر: التحرير والتنوير، مج٢، ٣ / ١٧٤.

[١١٦]- البقرة: ٢٣٩.

[١١٧]- ينظر: التحرير والتنوير، مج١، ٢ / ٤٧٠-٤٧١.

[١١٨]- ينظر: البحر المحيط، ٢٤٤/٢، والتحرير والتنوير، ٢ / ٤٧١.

[١١٩]- الشورى:١١.

[١٢٠]- التحرير والتنويرمج١٠،٢٥ /٤٦.

[١٢١]- المصدر نفسه،مج٢٥،١٠ /٤٦.

[١٢٢]- ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل:٣٨٩/١٦.

[١٢٣]- حروف المعاني: ٣٩.

[١٢٤]- معاني الحروف: ٤٨.

[١٢٥]- سر صناعة الاعراب، ٢٩١/١.

[١٢٦]- الجني الداني، ص: ٣٥.

[١٢٧]- آل عمران: ١١٠.

[١٢٨]- التحرير والتنوير، مج ٢، ٥٠/٤.

[١٢٩]- آل عمران: ١٧٩.

[١٣٠]- التحرير والتنوير، مج٢، ٠٤/ ١٧٨.

[١٣١]- المصدر نفسه، مج ٠٢، ٠٤/ ١٧٨.

[١٣٢]- مريم ٦٤،٦٥.

[١٣٣]- طه:١٣٢.

[١٣٤]- التحرير والتنوير مج ٧، ١٦ /١٤٣،١٤٢.

[١٣٥]- الكشاف، ٢ /٤٣٩.

[١٣٦]- يس:٣٨.

[١٣٧]- تأويل مشكل القران ص٣١٦.

[١٣٨]- التحرير والتنويرمج٢٣،٩ /٢٠.

[١٣٩]- الأنبياء: ٤٧.

[١٤٠]- التحرير والتنوير، مج٠٧، ٨٤/١٧.

[١٤١]- ينظر: البحر المحيط، ٣١٦/٦.

[١٤٢]- التحرير والتنوير، مج٠٨، ٢٧/٢٠.

[١٤٣]- ينظر: المصدر نفسه، مج٢،٠، ١٩/٥.

[١٤٤]- ينظر: المصدر نفسه، مج٢،٠، ١٩/٥.

[١٤٥]- ينظر: المقتضب: ٣٦/٢-٣٧.

[١٤٦]- العربية والوظائف النحوية دراسة في اتساع النظام والأساليب، ص١٠٩.

[١٤٧]- الحج: ٠٥.

[١٤٨]- التحرير والتنوير، مج٧، ١٧/ ٢٠٢.

[١٤٩]- الأحقاف: ٣٥.

[١٥٠]- التحرير والتنوير، مج١٠، ٢٦/ ٦٧.

[١٥١]- فاطر: ٠٣.

[١٥٢]- التحرير والتنوير، مج ٠٩، ٢٢/ ٢٥٤.

[١٥٣]-ال عمران ١٠٤.

[١٥٤]-التحرير والتنوير مج ٢،٠٤ /٣٨.

[١٥٥]-المصدر نفسه، مج ٢،٠٤ /٣٩.

[١٥٦]- آل عمران: ١٧٩.

[١٥٧]- البقرة: ٢٢٠.

[١٥٨]- البقرة: ٢٢٠.

[١٥٩]- التحرير والتنوير، مج ٠٢، ٤/ ١٧٩.

[١٦٠]- تعدد المعنى في النص القرآني دراسة دلالية في تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، ص٢٠١.

[١٦١]- الأنبياء، ٧٧.

[١٦٢]- ينظر: إملاء ما من به الرحمان، ص: ٤٣١.

[١٦٣]- المؤمنون:٦٥.

[١٦٤]- التحرير والتنوير، مج ٠٧، ١١٣/١٧.

[١٦٥]- الكتاب، ٢٢٥/٤.

[١٦٦]- الكهف: ٣١.

[١٦٧] التحرير والتنوير، مج٠٦، ٣١٢/١٥.

[١٦٨] البقرة:٢٢.

[١٦٩] التحرير والتنوير، مج٠١، ٣٣٤/١.